

فقه الأسماء الحسنى

الحكيم

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٨-١٢-١٤٢٨هـ

تفریغ: مرام أم العبدین

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... معاشر المستمعين؛ ومن أسماء الله الحسنى: الحكيم.

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ما يقرب من مائة مرة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨، ٧٣، سبأ: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨، ٢٤٠، المائدة: ٣٨، الأنفال: ٦٧، التوبة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وهذا الاسم العظيم دال على ثبوت كمال الحكم لله وكمال الحكمة له:

أما كمال الحكم فثبت أن الحكم لله وحده، يحكم بين عباده بما شاء، ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠، ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا

يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وليس لأحد أن يراجع الله في حكمه، كما يراجع الناس بعضهم بعضاً في أحكامهم، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، فحكمه في خلقه نافذ لا راد له.

وثبوت الحكم له - سبحانه - يتضمن ثبوت جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ لأنه لا يكون حكماً إلا سميعاً بصيراً عليماً خبيراً متكلاً مدبراً إلى غير ذلك من الأسماء والصفات. وفي هذا - معاشر المستمعين - إبطالٌ لجعل الحكم لغير الله لأن الحكم لا يكون إلا لكامل الصفات الذي له الأمر ويده التصرف، وتأمل هذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ثم قال مبيناً صفات من له الحكم، قال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) [الشورى: ١٠-١٢]، أي أن الذي له هذه الصفات هو الذي يستحق أن يُشرع ويحلل ويحرم وجعل ذلك لغيره أظلم الظلم وأعظم الجور؛ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

يَنْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

كما أن في ذلك دلالة على أن من هذا شأنه هو المستحق وحده أن يفرد بالذل والخضوع وجميع أنواع العبادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨) [القصص: ٨٨].

معاشر المستمعين، أما كمال الحكمة في حدوث الحكمة له سبحانه في خلقه وفي أمره وشرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها ويترها منازلها، ولا يتوجه إليه سؤال ولا يقدر في حكمه مقال.

أما الحكمة في الخلق فإنه سبحانه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان نهايته وغايته الحق، أوجده - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بأحسن نظام ورتبه بأكمل إتقان وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئاته اللائقة به بحيث لا يرى فيه شيء من التفاوت والخلل ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ﴾ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك: ٣-٤]، ولو اجتمعت عقول الخلق على أن يقترحوا مثلاً أو أحسن من هذه الموجودات لن

يقدرُوا على ذلك ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

معاشر المستمعين، وإذا كان من المتقرر أن الله سبحانه له الكمال الذي لا يحيط به العباد، وأنه ما من كمال تفرضه الأذهان ويقدره المقدرون إلا والله أعظم من ذلك وأجل، فإن أفعاله وجميع ما أوصله إلى الخلق أكمل الأمور وأحسنها و أنظمتها وأتقنها، فالفعل يتبع في كماله وحسنه لفاعله والتدبير منسوب إلى مدبره، والله تعالى كما لا يشبهه أحد في صفاته كالعظمة والحسن والجمال، فكذلك لا يشبهه أحد في أفعاله.

وأما الحكمة في أمره وشرعه فإنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - شرع الشرائع و أنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فلم يخلقهم هملاً ولم يوجدهم سدى؛ بل خلقهم لأكمل مقصد وأوجدهم لأجل غاية.

ومعرفته - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وعبادته وحده لا شريك له، التي هي مقصود الخلق هي أفضل العطايا منه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لعباده على الإطلاق، وأجل الهداة وأشرف المنى لمن يمن الله عليه بها ويكرمه ببلوغها وتحقيقها، وهي أكمل السعادة والفلاح والسرور للقلوب والأرواح؛ بل هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والفلاح السرمدي.

إضافة إلى هذا فإن شرعه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قد اشتمل على كل خير، فأخبره تملأ القلوب علماً وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، ويحصل لها من المعارف

أفضل المعارف وأجل العلوم، وأوامره كلها منافع ومصالح، وتثمر الأخلاق الجميلة والخصال الكريمة والأعمال الصالحة والطاعات الذاكية والهدي الكامل، ونواهيه كلها موافقة للعقول الصحيحة والفطر السليمة، فلم ينف إلا عما يضر الناس في عقولهم وأخلاقهم وأعراضهم وأبدانهم وأموالهم.

ومن حكمه وحكمته سبحانه مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته قال الله تعالى في شأن المحسن: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦٠) [الرحمن: ٦٠]، وقال في شأن المسيء: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَى﴾ [الروم: ١٠]، فهي مناسبة غاية المناسبة وموافقة غاية الموافقة للحكمة.

وبهذا -معاشر المستمعين- تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

